المباحثُ البيانيةُ في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور

م.م. حيدر فخري حمود التميميّ
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بابل

Graphic investigations in the interpretation of liberation and enlightenment by Ibn Ashour

Asst.Lect. Haider Fakhri Hammoud Al-Tamimi
Ministry of Education / General Directorate of Education of Babylon Governorate
Email: haiderfa123456@gmail.com

ملخص البحث

مذ إعلان الشيخ عبد القاهر الجرجانيّ نظريّته في النظم، وأنّ فيها يكمن الإعجاز والدراسات القرآنيّة الخاصّة بالإعجاز والتفسير تنحو منحى اللفظ والمعنى، أي من داخل النصّ، بينما كان الإعجاز عند المتقدّمين ينحو للخارج، فكان الإخبار بالغيوب السمة البارزة لإعجاز القرآن عندهم.

ومن تأسيس الجرجانيّ، وقواعد القزوينيّ والتفتازانيّ ، ثمّ السكّاكيّ سار المفسّرون على هذا النهج في بيان الإعجاز، فلا تمرّ استعارة إلّا وبيّنوها، ولا تشبيه إلّا وأشاروا لوجهه وطرفيهِ، ولا كناية إلّا وتفنّنوا في بيان المكنّى عنه.

وقد كان الشيخ الطاهر بن عاشور من أولئك المتفنّنين في بيان وجو البيان، فلا تكاد يمرّ وجهٌ من وجوهها إلّا وكان له نصيبٌ من الإيضاح ، وإبراز وجه التميّز فيها عن سائر الكلام، وقد يخالف صاحب الكشّاف في بعض الموارد وإن سار على نهجه في بعض الأحايين، ممّا يدلّل على استقلاليّة ابن عاشور في التفسير.

ومن هذا المنطلق تناول البحث هذه الشخصيّة التفسيريّة الفذّة، وتفسيره التحرير والتنوير الذي يعدّ من التفاسير التي امتلأت بالمباحث البيانيّة، ولا زالت تحتاج إلى مزيد بحث كالركاز في الخمسِ والزكاة. وقد جاء البحث بخطّة علميّةٍ تناولت:

تمهيدًا: جاء فيه البنية التأسيسيّة لمفهوم البيان في العقل العربيّ.

المبحث الأوّل: التشبيه في تفسير التحرير والتنوير: وفيه تناولنا المطلبينِ:

المطلب الأوّل: معنى التشبيه وأركانه وأقسامه: وفيه تأسيس ابستيميّ للتشبيه.

المطلب الثاني: تطبيقات التشبيه في التحرير والتنوير: وفيه تطبيقاتٌ لآياتٍ في التحرير والتنوير جاء فيها التشبيه بأبهى صوره.

المبحث الثاني: الاستعارة في تفسير التحرير والتنوير: وجاء بمطلبينِ:

المطلب الأوّل: معنى الاستعارة وأركانها وأقسامها: وفيها تأسيس ابستيميّ كالتشبيه

المطلب الثاني: الاستعارة في التحرير والتنوير: وفيها تطبيقاتٌ للآيات بتحليل فنيّ فريد.

المبحث الثالث: الكناية في تفسير التحرير والتنوير: وجاء بمطلبينِ:

المطلب الأوّل: مفهوم الكناية وأقسامها: وفيها بيان مفهوم الكناية في اللغة وتطوّر المصطلح.

المطلب الثاني: الكناية في التحرير والتنوير: وفيه كسابقيهِ في ذكر الآيات التي فيها كناية.

الخاتمة: وفيها موجزٌ لأهمّ ما جاء في البحث بذكر الركائز الأساسيّة.

المصادر والمراجع: وفيها رتّبنا المصادر والمراجع على الترتيب الألفبائيّ المعروف، وبتقديم اسم الكتاب على اسم المؤلّف وحسب الطريقة الكلاسيكيّة المعروفة.

ومن الله نستمدّ العون فبحوله وقوّته نستكمل الناقص، وتتمّ الحاجات من الباحث المحتاج.

Abstract

Since Sheikh Abdul Qaher Al-Jarjani announced his theory of systems and that in it the miracles and the Qur'anic studies of miracles and interpretation lie in the direction of pronunciation and meaning that is from within the text while the miracles of the applicants tended abroad and the news of the unsentees was the prominent feature of the

From this establishment of Al-Jarjani and the rules of Al-Qazvini Al-Tafazani and then the Sakaki the interpreters followed this approach in the statement of miracles. No metaphor passes unless they show it and it is not likened except to pointing to his face and sides and there is no euphemism unless they are professional in the statement of what is permissible.

Sheikh Tahir bin Ashour was one of those who are skilled in the statement and atmosphere of the statement. Hardly one of its faces passes unless he has a share of clarification and highlighting the face of excellence in it from other words. The owner of the scout may disagree on some resources even if he follows his approach in some cases which indicates the independence of Ibn Ashour in interpretation

From this point of view the research dealt with this unique interpretive personality and its interpretation is liberation and

enlightenment which is one of the interpretations that was filled with graphical detectives and still needs more research such as ore in five and zakat. The research came with a scientific plan that dealt with:

In preparation: it states the foundational structure of the concept of the statement in the Arab mind.

The first topic: analogy in the interpretation of liberation and enlightenment: in which we dealt with the two demands:

The first requirement: the meaning of the analogy its pillars and its sections: the establishment of Epstemy for similarity.

The second requirement: applications of analogy in liberation and enlightenment: in which there are applications of verses in liberation and enlightenment in which the analogy came in its best form.

The second topic: Borrowing in the interpretation of liberation and enlightenment: and it came with two demands:

The first requirement: the meaning of metaphor its pillars and sections: in it is the establishment of an apistimi like analike

The second requirement : metaphor in editing and enlightenment : it has applications for verses with unique technical analysis.

The third topic: the eunnity in the interpretation of liberation

and enlightenment: it came with two demands:

The first requirement: the concept of the nicket and its sections: the statement of the concept of the nicket in the language and the development of the term.

The second requirement: the euphemism in liberation and enlightenment: and in it like its predecessors in mentioning the verses in which there is a metaphor.

Conclusion: It summarises the most important things in the research by mentioning the main pillars.

Sources and references: in which we arranged the sources and references in the known alphabetical order and by presenting the name of the book in the name of the author and according to the known classical method.

And from God we derive help and His help is completed by the imperfect and the needs are fulfilled from the researcher in need.

التمهيد: مفهوم البيان- بنية تأسيسيّة:

من ميزات اللغة العربيّة أنّها تبحث عن معنى المفردة في حقلها اللغويّ الدلاليّ مهما كان العلم الذي يمتح منه الباحث، فالأساس اللغويّ نظامٌ معرفيٌّ يؤسّس للبنية المعرفيّة للعلوم ضمن لغتها، كما أنّ التأسيس اللغويّ يستبطن معه تاريخ الحضارة العربيّة التي تأسّست على المفردة، فهي حضارة مفردة، أو بتعبيرٍ آخر: هي حضارة كلمة، أو حضارة بيان. وقد نصّ محمد عابد الجابريّ أنّ هذه اللفظة من أكثر الكلمات العربيّة تعبيرًا عن خصائص الرؤية التي تقدّمها المنظومة اللغويّة العربيّة، إذ لا نجد لها ما يقابلها في اللغات الأخرى.[1]

وقد كان النصّ عند العرب وحده مناط التحليل؛ فتوقّفوا عند الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية ، وأدركوا أنّ هذه الكلمة أفصح من تلك، في هذا الموضع دون ذاك؛ علمًا بأنّ العرب يتميزون بسليقة فطرية ذات قدرة عالية على إدراك براعة الكلم. وقد روي في الحديث أنّ النبيّ ﷺ قال: أنا أعربكم : أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد [2].

ومفردة (بيان) قد تكون المفردة التي تمثّل شعار الحضارة العربيّة ومن ثمَّ الإسلاميّة؛ لكون الدستور الإسلاميّ (القرآن) وُصفَ بأنّهُ (مبينٌ)، ومن هنا وجب تفكيك هذه المفردة:

البيان في اللغة : يدور الأصل اللغوي للفعل (بَيَنَ) حول دلالات الكشف والظهور ، والوضوح والانجلاء التام للشيء عن أصله، أو ما ستْره عما عداه ، ويجمع هذه الدلالات اللغوية ما ذكره ابن منظور في معجمه ، إذ شمل ما قبله من أقوال أهل اللغة في المادة (بين). يقول: " والبَيانُ : ما بُيِّنَ به الشيءُ من الدلالة وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَيانًا: اتَّضَح فهو بَيِّنٌ ، والجمع أَبْيِناءُ ، مثل هَيِّنٍ وأَهْيِناء، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبينٌ. وأَبَنْتُه أَي أَوْضَحْتُه، واستَبانَ الشيءُ: ظهَر. واستَبَنْتُه أَنا: عرَفتُه. وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر، وتَبيَّنْتُهُ أَنا، تتعدَّى هذه الثلاثةُ ولا تتعدّى. وقالوا: بانَ الشيءُ واسْتَبانَ وتَبيَّن وأَبانَ وبَيَّنَ بمعنى واحد؛ ومنه

(١) بنية العقل العربّي ، ١٦.

(٢) الجامع الصغير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ ، ١/ ٣٢٢٨. المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٧م.

قوله تعالى : ﴿وَلَقَد أَنزَلنَآ إِلَيكَ ءَايَٰتِ بَيِّنَٰت وَمَا يَكفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلفَٰسِقُونَ﴾ [1]، بكسر الياء وتشديدها، بمعنى مُتبيِّنات ، ومن قرأَ: (مُبَيَّنات) بفتح الياء فالمعنى أَن الله بَيَّنَها. ويقال : بانَ الحق يَبِينُ بَيانًا ، فهو بائنٌ ، وأَبانَ يُبِينُ إبانة ، فهو مُبِينٌ ، بمعناه . ومنه قوله تعالى: ﴿حمٓ وَٱلكِتَٰبِ ٱلمُبِينِ﴾[2]؛ أَي والكتاب البَيِّن ، وقيل: معنى المُبين الذي أَبانَ طُرُقَ الهدى من طرق الضلالة ، وأَبان كلَّ ما تحتاج إليه الأُمّة ، وقال الزجاج : بانَ الشيءُ وأَبانَ بمعنى واحد. ويقال: بانَ الشيءُ وأَبَنتُه، فمعنى مُبين أَنه مُبينٌ خيرَه وبرَكَته، أَو مُبين الحقَّ من الباطل والحلالَ من الحرام، ومُبينٌ أَن نُبُوَّةَ سيدنا رسول الله ﷺ حقٌّ ، ومُبين قِصَصَ الأَنبياء. قال أَبو منصور : ويكون المستبين أَيضًا بمعنى المُبين. والبَيانُ: الفصاحة واللَّسَن، وكلامٌ بيِّن فَصيح. والبَيان: الإفصاح مع ذكاء ، والبَيِّن من الرجال: الفصيح ابن شميل: البَيِّن من الرجال السَّمْح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرتَج ، وفلانٌ أَبْيَن من فلان أَي أَفصح منه وأَوضح كلامًا ، ورجل بَيِّنٌ: فصيح. البَيان إظهار المقصود بأَبلغ لفظٍ، وهو من الفَهْم وذكاءِ القلْب مع اللَّسَن، وأَصلُه الكَشْفُ والظهورُ "[3].

فالدلالات المعجمية واللغوية للبيان تتمثّل في:

- ما يبيّن به الشيء من الدلالة وغيرها.
- وضوح الشيء بذاته أو بما يوضّحه.
- الفصاحة واللسن.
- إظهار المقصود بأبلغ لفظ.
- الفهم وذكاء القلب مع الفصاحة واللسن.
- الكشف والظهور.

ويضيف الجابريّ معنىً آخرًا استشفّه من معاجم اللغة هو مبدأ الانفصال ومبدأ

(١) سورة البقرة ، الآية : ٩٩.
(٢) سورة الدخان ، الآيتان : ١-٢.
(٣) لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، ١٣/ ٦٩ (مادة: بَيَنَ)،

التجويز.[1]

البيان في الاصطلاح: تدور مادة البيان حول معنى : الدلالة ، والفصاحة، والوضوح ، والكشف ، والظهور. وقد استمرت هذه المعاني مستقرة ، حتى ظهرت باكورة الدراسات البيانية المتخصصة متمثلة في كتاب (البديع) للشاعر ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ) ؛ استجابة لدعوة الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) القائمة على تحقيق التأنق في رسم الصورة الأدبية، والكشف عن الوسائل التي تزدان بها تلك الصورة، وتزداد بها وضوحًا وروعة، وكتاباه: (البيان والتبيين)، (الحيوان) يمثلان أسلوبه ومنهجه في هذه الدعوة إلى النهج البياني، وبهما اعتبره البعض مؤسس البيان العربي.

ولقد كان صنيع الجاحظ حقًا بداية التحوّل بالبيان إلى معنى: الأدب وفنونه، والدلالة على أسباب نضجه الفني، والتعريف بالمقومات التي قد تعترض نموّه؛ إذ لكل موضوع طريقة خاصة في التعبير عنه، فالموضوع الأدبي له العبارات الأدبية، والألفاظ المنتقاة، والتشبيهات، والاستعارات، والكنايات التي تعبر عن العواطف المختلفة.[2]

وقسّم ابن وهب الكاتب (ت:٣٣٥هـ) أوجه البيان إلى:

١- بيان الاعتبار: وهو بيان الحال، وهو ظاهر ما يدرك بالحواس، وباطنٌ غاب عن الحسّ.

٢- بيان الاعتقاد: وهو يأتي بعد بيان الحال، وفيه يتمّ العلم بمعاني الأشياء.

٣- بيان العبارة: وهو أسلوب التعبير، ومنه: الاشتقاق، والتشبيه، واللحن، والرمز، والوحي، والاستعارة، والأمثال، واللغز، والحذف، والصرف، والمبالغة، والقطع والعطف....

٤- بيان الكتاب: وهو وسيلة نقل الأفكار والآراء.[3]

(١) ينظر: بنية العقل العربّي ، ٢٣٩.
(٢) ينظر: الحيوان ، ١/ ٤٥.
(٣) ينظر: البرهان في وجوه البيان.

ونجد عالِمًا آخر هو الرماني (ت:٣٨٤هـ) في كتابه: (النكت في إعجاز القرآن) ، يشرح البيان: بأنّه الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره، وأقسامه أربعة : كلام، وحال، وإشارة، وعلامة.(١)

أمّا إمام البلاغة ومؤسسها عبد القاهر الجرجانيّ (ت: ٤٧١هـ) في كتابيه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، فنراه يجعل البيان مرادفًا للفصاحة، والبلاغة، والبراعة وكلها تعني عنده : وصف الكلام بحُسن الدلالة، وتمامها في ماله كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين، وأنقى وأعجب.(٢)

ولما جاء السَّعد التفتازانيّ (ت: ٧٩٢هـ) صاحب المطوّل، والمختصر في شرح تلخيص، المفتاح للخطيب القزويني ذكر في كتابه المطول تعريف الخطيب السابق ، وتعريفًا آخرا للبيان قائلًا : "والأقرب أن يُقال : علم البيان : علم يُبحث فيه عن التشبيه، والمجاز، والكناية "(٣).

وبحثنا هذ سينصبّ على تقسيمات السعد التفتازانيّ مع بعض التعديل، إذ سنقسمه على ثلاثة أقسام: تشبيه، واستعارة، وكناية.

المبحث الأوّل: التشبيه في تفسير التحرير والتنوير:

المطلب الأوّل: معنى التشبيه وأركانه وأقسامه:

التشبيه في اللغة: يطلق ويراد به أحد معنيينِ:

١- المماثلة: قال ابن منظور: "الشِّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ المثلُ، والجمع أشباهٌ وأشبهَ الشيءُ الشيءَ ماثلهُ "(٤).

٢- الالتباسُ: جاء في المصباح المنير: "اشتبهت الأمور وتشابهت: التبست، فلم تتميّز

(١) النكت في إعجاز القرآن ، ٩٨.
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ، ٤/ ٣٠.
(٣) المطوّل ، ٣١٠.
(٤) لسان العرب ، ٨/ ١٧، مادة: شبه.

ولم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها "[١].

التشبيه في الاصطلاح:

قال الخطيب القزوينيّ(ت:٧٣٩هـ): " التشبيه: الدلال على مشاركةِ أمرٍ لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ها هنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقيّة، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد "[٢].

أركان التشبيه: والتشبيه يتألّف من مشبّه، ومشبّه به، وأداة تشبيه، ووجه شبه، وواجب ذكر أحد الطرفين بخلاف الوجه والأداة، وقد يحذف المشبّه للعلم به.[٣]

أنواع التشبيه:

أوّلًا: باعتبار الطرفين:

وينقسم الطرفان وفق اعتبارات، فباعتبار الاستناد إلى الحس ينقسمان إلى أربعة أقسم:

١- أن يكون الطرفان حسيّين.

٢- أن يكون الطرفين عقليين.

٣- تشبيه المعقول بالمحسوس.

٤- تشبيه المحسوس بالمعقول.[٤]

وينقسم باعتبار الإفراد والتركيب إلى أربعة أقسام:

١- أن يكون الطرفان مفردينِ.

٢- أن يكون الطرفان مركّبينِ

٣- أن يكون المشبّه مركّبًا والمشبّه به مفردًا.

(١) المصباح المنير، الفيومي، ١/ ٣٥٨.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، ١٦٤.
(٣) ينظر: المطوّل، ٣١١.
(٤) ينظر: فن التشبيه، علي الجندي، ١/ ٩٧-٩٨.

٤- أن يكون المشبّه مفردًا والمشبّه به مركّبًا.[١]

ثانيًا: باعتبار الأداة:

ينقسم التشبيه من جهة الأداة إلى قسمين:

١- التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.

٢- التشبيه المؤكّد: وهو ما حذفت منه الأداة.[٢]

ثالثًا: باعتبار وجه الشبه:

وينقسم التشبيه باعتبار الوجه إلى أقسامٍ عديدةٍ، فباعتبار الذكر والحذف ينقسم قسمين:

١- المفصّل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه.

٢- المجمل: وهو ما لم يذكر فيه وجه الشبه.[٣]

وينقسم باعتبارٍ آخر إلى:

١- الحقيقيّ: وهو ما كان وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة.[٤] مثل الإشراق عند تشبيه الوجه بالبدر.

٢- التخييليّ: قال الخطيب: " والمراد بالتخييل: أن لا يمكن وجوده (أي وجه الشبه) في المشبّه به إلّا على تأويل "[٥].

أقسام التشبيه:

١- التشبيه البليغ: وهو التشبيه الذي لم يذكر فيه وجه الشبه وأداته؛ وسمّيَ بليغًا ؛ لأنّ فيه من إفادة المبالغة ما لا يفيده ذكر الوجه أو الأداة أو كليهما.[٦]

(١) ينظر: فن التشبيه، علي الجندي ، ١/ ٩٧-٩٨.
(٢) ينظر: المنهاج الواضح في البلاغة، حامد عوني ، ٧٨.
(٣) ينظر: الإيضاح ، ١٩١.
(٤) المنهاج الواضح في البلاغة ، ٥٩.
(٥) الإيضاح ، ١٦٩.
(٦) المنهاج ، ٩٣.

٢- التشبيه الضمنيّ: ويسمى التشبيه الكنائيّ: وهو الذي يأتي به المتكلّم كبرهان ، أو دليل أو حجّة يثبت به صحّة ما ذكره من معنى عقب ذلك المعنى.(١)

٣- التشبيه التمثيليّ: ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، محسوسة الصورة أم معقولة.(٢)

المطلب الثاني: تطبيقات التشبيه في التحرير والتنوير:

١- التشبيه بالمحسوس: في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُم كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱستَوقَدَ نَارا فَلَمَّآ أَضَآءَت مَا حَولَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَٰت لَّا يُبصِرُونَ﴾(٣) .

قال ابن عاشور في تفسيرها: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارا. أَعْقَبَتْ تَفَاصِيلَ صِفَاتِهِمْ بِتَصْوِيرِ مَجْمُوعِهَا فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، بِتَشْبِيهِ حَالِهِمْ بِهَيْئَةٍ مَحْسُوسَةٍ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ تَشْبِيهِ التَّمْثِيلِ، إِلْحَاقًا لِتِلْكَ الْأَحْوَالِ الْمَعْقُولَةِ بِالْأَشْيَاءِ الْمَحْسُوسَةِ، لِأَنَّ النَّفْسَ إِلَى الْمَحْسُوسِ أَمِيلُ "(٤).

٢- التشبيه البليغ: قد يكون ابن عاشور من المكثرين في ذكر هذا التشبيه، فلا تكادُ تتلى الآية حتّى ينصّ على أنّها من التشبيه البليغ، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُن قُل أُذُنُ خَير لَّكُم يُؤمِنُ بِاللهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحمَة لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَٱلَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ ٱللهِ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم﴾(٥) .

فقال فيها: "وَالْأُذُنُ الْجَارِحَةُ الَّتِي بِهَا حَاسَّةُ السَّمْعِ ، وَمَعْنَى هُوَ أُذُنٌ الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ آلَةُ سَمْعٍ ،وَالْإِخْبَارُ بِـ هُوَ أُذُنٌ مِنْ صِيغِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ "(٦).

ومثله في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكمٌ عُمي فَهُم لَا يَرجِعُونَ﴾(٧) .

(١) ينظر: المصدر نفسه.
(٢) فنون البلاغة وأفنانها، فضل حسن عباس ، ٦٤.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٧.
(٤) التحرير والتنوير ، ١/ ٣٠٢.
(٥) سورة التوبة ، الآية : ٦١.
(٦) التحرير والتنوير ، ١٠/ ٢٤٢.
(٧)سورة البقرة ، الآية : ١٨.

يرى أنّ التشبيه هنا بليغ، فهذه الصفات توجد في كلّ واحد منهم، قال: "وَالْإِخْبَارُ عَنْهُمْ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ جَاءَ عَلَى طَرِيقَةِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ ، شُبِّهُوا فِي انْعِدَامِ آثَارِ الْإِحْسَاسِ مِنْهُمْ بِالصُّمِّ الْبُكْمِ الْعُمْيِ ، أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ اجْتَمَعَتْ لَهُ الصِّفَاتُ الثَّلَاثُ ، وَذَلِكَ شَأْنُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ بَعْدَ مُبْتَدَأٍ هُوَ اسْمٌ دَالٌّ عَلَى جَمْعٍ ، فَالْمَعْنَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَالْأَصَمِّ الْأَبْكَمِ "[1].

ومن الملاحظ على الطاهر بن عاشور هو مخالفته لأقوال المفسّرين في وجوه البيان المتعدّدة ، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورا﴾ [2].

نراه يرى أنّ النوم سباتًا يحتمل معاني متعدّدة ترجع إلى التوسّع في استعمال مادة السبت، وأنسب هذه المعاني بمقام الامتنان في هذه الآية هو معنى الراحة، وقد خالف الزمخشريّ الذي فسّر السبات بالموت على طريقة التشبيه البليغ ناظرًا في ذلك إلى مقابلته بقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورا﴾.[3] فالطاهر بن عاشور لا يرى فيه تشبيهًا بل يراه كلامًا جاء على حقيقته ، وإن كان لا ينفي أنّ في كلا المعنيين اعتبارًا بدقيق صنع الله.[4]

كما أنّ ابن عاشور يلمح إلى التشبيه البليغ مع كون الصفة في المشبّه أقوى من المشبّه به، ويبرّر ذلك بقوله: "والإخبار بِهِ عَنِ الشَّمْسِ مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ وَهُوَ تَشْبِيهٌ ، وَالْقَصْدُ مِنْهُ تَقْرِيبُ الْمُشَبَّهِ مِنْ إِدْرَاكِ السَّامِعِ ، فَإِنَّ السِّرَاجَ كَانَ أَقْصَى مَا يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي اللَّيْلِ وَقَلَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَتَّخِذُهُ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي أَدْيِرَةِ الرُّهْبَانِ أَوْ قُصُورِ الْمُلُوكِ وَأَضْرَابِهِمْ، قَالَ امْرُؤ الْقَيْس : [5] يضِي سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ أَمَالَ الذُّبَالَ بِالسَّلِيطِ الْمُفَتَّلِ وَوَصَفُوا قَصْرَ غُمْدَانَ بِالْإِضَاءَةِ عَلَى الطَّرِيقِ لَيْلًا "[6].

(١) التحرير والتنوير ، ١/ ٣١٣.
(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٤٧.
(٣) ينظر: الكشّاف ، ٣/ ٢٨٣.
(٤) التحرير والتنوير ،١٩ / ٤٥.
(٥) ينظر: شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي ، ١٧٨.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير ، ٢٩/ ٢٠٣.

٣- التشبيه التمثيليّ: يعرّف ابن عاشور المثل بأنّه: "قَوْلٌ شُبِّهَ مَضْرِبُهُ بِمَوْرِدِهِ، وَهُوَ الَّذِي وَعَدْتُ بِذِكْرِهِ آنِفًا فَمَعْنَى تَشْبِيهِ مَضْرِبِهِ بِمَوْرِدِهِ أَنْ تَحْصُلَ حَالَةٌ لَهَا شَبَهٌ بِالْحَالَةِ الَّتِي صَدَرَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْلُ فَيَسْتَحْضِرُ الْمُتَكَلِّمُ تِلْكَ الْحَالَةَ الَّتِي صَدَرَ فِيهَا الْقَوْلُ وَيُشَبِّهُ بِهَا الْحَالَةَ الَّتِي عَرَضَتْ، وَيَنْطِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي كَانَ صَدَرَ فِي أَثْنَاءِ الْحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا لِيُذَكِّرَ السَّامِعَ بِتِلْكَ الْحَالَةِ، وَبِأَنَّ حَالَةَ الْيَوْمِ شَبِيهَةٌ بِهَا، وَيُجْعَلُ عَلَامَةَ ذِكْرِ ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي قِيلَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ "[١].

ومن هنا يرى أنّ إطلاق لفظة (مثلًا) في القرآن الكريم اقتبس منها ثلاثة مصطلحات:

أوّلها: التشبيه التمثيليّ، يقول ابن عاشور: "وَمِنْ أَجْلِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْمَثَلِ اقْتَبَسَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ مُصْطَلَحَهُمْ فِي تَسْمِيَةِ التَّشْبِيهِ الْمُرَكَّبِ بِتَشْبِيهِ التَّمْثِيلِ "[٢].

ثانيها: التي اقتبست من كلمة مثل مصطلح (الاستعارة التمثيليّة)، وصورته هي استعمال المركّب الدال على هيئة منتزعة من متعدد في غير ما وضع له مجموعة بعلاقة المشابهة.[٣]

ثالثها: الأمثال السائرة، فيرى أنّ أمثال العرب باب من أبواب بلاغتهم، وقد خصّت بالتأليف.[٤]

ومن أمثلة التشبيه التمثيليّ بكونه من صلب بحثنا نأخذ تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَت أَودِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَاحتَمَلَ ٱلسَّيلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبتِغَآءَ حِليَةٍ أَو مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضرِبُ ٱللَّهُ ٱلحَقَّ وَٱلبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمكُثُ فِي ٱلأَرضِ كَذَٰلِكَ يَضرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمثَالَ﴾[٥].

فإنّه يراها من التشبيه التمثيليّ، فقال: "وَجِيءَ فِي هَذَا التَّسْجِيلِ بِطَرِيقَةِ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِحَالَيْ فَرِيقَيْنِ فِي تَلَقِّي شَيْءٍ وَاحِدٍ، انْتَفَعَ فَرِيقٌ بِمَا فِيهِ مِنْ مَنَافِعَ وَتَعَلَّقَ فَرِيقٌ بِمَا فِيهِ مِنْ

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٣٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٠٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٤) ينظر: المصدر السابق، ١/ ٣٠٣.
(٥) سورة الرعد، الآية: ١٧.

مَضَارًّ، وَجِيءَ فِي ذَلِكَ التَّمْثِيلِ بِحَالَةٍ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى بَدِيعِ تَصَرُّفِ اللهِ تَعَالَى ؛ لِيَحْصُلَ التَّخَلُّصُ مِنْ ذِكْرِ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ إِلَى ذِكْرِ عِبَرِ الْمَوْعِظَةِ، فَالْمُرَكَّبُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّشْبِيهِ التَّمْثِيلِيِّ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ : ﴿كَذَٰلِكَ يَضرِبُ ٱللَّهُ ٱلحَقَّ﴾"[1].

المبحث الثاني: الاستعارة في تفسير التحرير والتنوير:

المطلب الأوّل: معنى الاستعارة وأركانها وأقسامها:

الاستعارة في اللغة : هي مصدر الفعل (استعار)، ولكون القاعدة الصرفيّة تنصّ على أنّ زيادة المبنى يؤدّي لزيادة المعنى، فإنّ زيادة السين والتاء على الأصل (عارَ) تفيد الطلب، أي طلب العارة "والعارة ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه، والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في االشيء يكون بين اثنين "[2] " والمستعار: المتداول "[3]، والاستعارة بمعنى أخذ الشيء، ومن هنا يقال: " أرى الدهر يستعير في شبابي أي يأخذه مني "[4].

الاستعارة في الاصطلاح : تنال الاستعارة اهتمام البلاغيين منذ نشأتها وحتى عصرنا الحديث، فهم يعملون على دراستها، وتعريفها، وإظهار حسنها، وبيان بلاغتها ، ويتبارون في تقسيمها، وتوضيح الهدف منها، وبيان علاقتها بغيرها من الصور البلاغية الأخرى، وكل منهم يتناولها بمنظوره الخاص، وإن كانت الصورة في مضمونها واحدة لدى الجميع فهي بمنظور الرماني: " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة "[5].

أمّا أبو هلال العسكري فيرى أنّ: " الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض ، إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه،

(١) التحرير والتنوير ، ١٣/ ١١٦.
(٢) لسان العرب ، ٤/ ٦١٨.
(٣) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ، ٢/ ٦٤.
(٤) أساس البلاغة، الزمخشري ، ١/ ٦٨٤ مادة: عور].
(٥) النكت في إعجاز القرآن ، ٨٥.

أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه"[١].

وهذا القاضي الجرجانيّ يعرّفها قائلًا: "إنّما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة وجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين لإحداهما إعراض عن الآخر "[٢].

أمّا عبد القاهر الجرجانيّ فيعرفها: " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه "[٣].

ونجدها عند الفخر الرازيّ: " أنّها ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه...ولك أيضا أن تقول: الاستعارة عبارة عن جعل الشيء بالشيء، أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه "[٤].

أركان الاستعارة:

المستعار منه: وهو المشبه به، وهو المعنى الأصلي الذي وضعت من أجله العبارة.

المستعار له: هو المشبه، والمعنى الفرعي الذي لم توضع له العبارة أولا.

المستعار: هو اللفظ المنقول بين المشبه به والمشبه.

القرينة: هي التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي فتغيره، وتكون حالية أو لفظية.[٥]

أقسام الاستعارة: تقسم الاستعارة وفق اعتبارات، منها:

١ – بحسب ما يذكر من طرفيها: فتقسم إلى:

أ– استعارة تصريحيّة: وهي التي حُذِفَ فيها المشبه (الركن الأول) وصرح بالمشبه به.

(١) الصناعتين ، ٢٦٨.
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ٤١.
(٣) دلائل الإعجاز ، ٦٧.
(٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ٢٣٢.
(٥) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ ، ٢٠٦.

ب- استعارة مكنية: وهي التي حُذِفَ فيها المشبه به (الركن الثاني) وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه.

ج- استعارة تمثيلية: أصلها تشبيه تمثيلي حُذِفَ منه المشبه، وهو (الحالة والهيئة الحاضرة) وصرح بالمشبه به وهو (الحالة والهيئة السابقة) مع المحافظة على كلماتها وشكلها، وتكثر غالبًا في الأمثال عندما تشبه الموقف الجديد بالموقف الذي قيلت فيه.

٢- الاستعارة بحسب ما يذكر من لفظها:

أ- استعارة أصليّة: هي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق.

ب- استعارة تبعيّة: وهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقًا أو فعلًا.[١]

المطلب الثاني: الاستعارة في التحرير والتنوير:

ومن جميل ما يذكر ابن عاشور في الاستعارة أن تجتمع الاستعارة التصريحيّة والاستعارة المكنية، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدرِهِۦ وَٱلأَرضُ جَمِيعا قَبضَتُهُۥ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ﴾[٢]، يقول: "وَالإِخْبَارُ عَنِ الأَرْضِ بِهَذَا الْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ كَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الاِتِّصَافِ بِالْمَعْنَى الْمَصْدَرِيِّ، وَإِنَّمَا صِيغَ لَهَا وَزْنُ الْمَرَّةِ تَحْقِيرًا لَهَا فِي جَانِبِ عَظَمَةِ مُلْكِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا لَمْ يُجَأْ بِهَا مَضْمُومَةَ الْقَافِ بِمَعْنَى الشَّيْءِ الْمَقْبُوضِ لِئَلَّا تَفُوتَ الْمُبَالَغَةُ فِي الاِتِّصَافِ وَلَا الدَّلَالَةُ عَلَى التَّحْقِيرِ فَالْقَبْضَةُ مُسْتَعَارَةٌ للتناول اسْتِعَارَة تصريحية، وَالْقَبْضَةُ تَدُلُّ عَلَى تَمَامِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْمَقْبُوضِ وَأَنَّ الْمَقْبُوضَ لَا تَصَرُّفَ لَهُ وَلَا تَحَرُّكَ.

وَهَذَا إِيمَاءٌ إِلَى تَعْطِيلِ حَرَكَةِ الْأَرْضِ وَانْقِمَاعِ مَظَاهِرِهَا إِذْ تُصْبِحُ فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ شَيْئًا مَوْجُودًا لَا عَمَلَ لَهُ؛ وَذَلِكَ بِزَوَالِ نِظَامِ الْجَاذِبِيَّةِ وَانْقِرَاضِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ الَّتِي كَانَتْ تَمُدُّ

(١) ينظر: علم البيان، عبد العزيز عتيق، ١٠٣ وما بعدها.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ.

وَطَيُّ السَّمَاوَاتِ: اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ لِتَشْوِيشِ تَنْسِيقِهَا وَاخْتِلَالِ أَبْعَادِ أَجْرَامِهَا، فَإِنَّ الطَّيَّ رَدُّ وَلَفُّ بَعْضِ شُقَقِ الثَّوْبِ، أَوْ الْوَرَقِ عَلَى بَعْضٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَبْسُوطَةً مُنْتَشِرَةً عَلَى نَسَقٍ مُنَاسِبٍ لِلْمَقْصُودِ مِنْ نَشْرِهِ فَإِذَا انْتَهَى الْمَقْصُودُ طُوِيَ الْمَنْشُورُ "[1].

كما نراه يحاول تقريب التركيب القرآنيّ من الاستعارة التمثيليّة، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[2]. فقال شارحًا: "وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْمَجْمُوعَ اسْتِعَارَةً تَمْثِيلِيَّةً بِأَنْ شَبَّهَ الْهَيْئَةَ الْحَاصِلَةَ مِنْ قَوْلِهِمْ لَمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ، وَأَنْ لَا يُقَصِّرُوا فِي الْعَمَلِ وَمِنْ وَعْدِ اللهِ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالثَّوَابِ بِهَيْئَةِ الْمُتَعَاهِدِينَ عَلَى الْتِزَامِ كُلٍّ مِنْهُمَا بِعَمَلٍ لِلْآخَرِ، وَوَفَائِهِ بِعَهْدِهِ فِي عَدَمِ الْإِخْلَالِ بِهِ فَاسْتُعِيرَ لِهَذِهِ الْهَيْئَةِ الْكَلَامُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى قَوْلِهِ: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ، وَهَذَا أَحْسَنُ"[3].

ومن جميل الجمع بين الاستعارة الأصليّة، والاستعارة التبعيّة ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغفِر لِي وَلِأَخِي وَأَدخِلنَا فِي رَحمَتِكَ وَأَنتَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[4].

فقال الشيخ: "وَالْإِدْخَالُ فِي الرَّحْمَةِ اسْتِعَارَةٌ لِشُمُولِ الرَّحْمَةِ لَهُمَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِمَا، بِحَيْثُ يَكُونَانِ مِنْهَا، كَالْمُسْتَقِرِّ فِي بَيْتٍ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا يَحْوِي، فَالْإِدْخَالُ اسْتِعَارَةٌ أَصْلِيَّةٌ وَحَرْفُ (فِي) اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ، أَوْقَعَ حَرْفُهُ الظَّرْفِيَّةَ مَوْقِعَ بَاءِ الْمُلَابَسَةِ "[5].

(١) التحرير والتنوير، ٢٤/ ٦٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٣)تحرير والتنوير، ١/ ٤٥٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥١.
(٥)التحرير والتنوير، ٩/ ١١٨.

المبحث الثالث: الكناية في تفسير التحرير والتنوير:

المطلب الأوّل: مفهوم الكناية وأقسامها:

الكناية في اللغة: يرى ابن منظور أنّ الكناية هي: " أن تتكلّم بشيءٍ وتريد غيره "[١].

والملاحظ أنّ كتب اللغة لم تبتعد عن المعنى الذي ذكره ابن منظور أعلاه ؛ لذا يقول الدكتور محمد جابر فياض: " عدول عن لفظٍ إلى آخر دالّ عليه "[٢].

الكناية في الاصطلاح: ابتكر قدامة بن جعفر مصطلح الارداف، وهو يقصد الكناية، فقال في تعريف الإرداف: " وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو ردفه، وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع "[٣].

بينما أبو هلال العسكريّ يرادف بين الكناية والتعريض، فقال: " وهو أن يكنّي عن الشيء، ويعرض به، ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء "[٤].

أمّا شيخ البلاغة عبد القاهر فيرى أنّ المراد بالكناية هي: " أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيءُ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئُ به إليه، ويجعله دليلًا عليه "[٥].

وبأكثر بيان عرّفها السكّاكيّ : "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول : فلانٌ طويلُ النجاد ؛ لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة "[٦].

(١) لسان العرب ، مادة كنى.
(٢) الكناية ، ١٠.
(٣) نقد الشعر ، ١٥٧ – ١٥٨.
(٤) الصناعتين ، ٤٠٧.
(٥) دلائل الإعجاز ، ٦٦.
(٦) مفتاح العلوم ، ٤٠٢.

وقد جعل السكاكيّ الكناية في أنواعها الخمسة إلى:

تعريضًا: وذلك حين تكون مسوقة لأجل موصوف غير مذكور، كما تقول في عرض من يؤذي المؤمنين: المؤمن هو الذي يصلي ويزكي.

تلويحًا: إن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة؛ لتوسّط لوازم، كما في: كثير الرماد، وأشباهه.

رمزًا: إن كانت ذات مسافة قريبة، مع نوع من الخفاء، كنحو: عريض القفا... لأنّ الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية.

إيماءً وإشارةً: إن كانت مسافة قريبة، ولكن ليست مع نوع الخفاء، كقول أبي تمام[1]:

أبيْنَ فما يزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدِ

فإنّه في إفادة أنّ أبا سعيد كريمٌ غير خافٍ.[2]

أقسام الكناية: وهي ثلاثة أقسام:

١- الكناية عن صفة.

٢- الكناية عن موصوف.

٣- الكناية عن نسبة.[3]

المطلب الثاني: الكناية في التحرير والتنوير:

من اللطائف التي أشار إلى وجود الكناية قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِالۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[4]، فقال: "وَمَعْنَى نَفْيِ الِاهْتِدَاءِ كِنَايَةٌ عَنْ إِضَاعَةِ الْقَصْدِ أَيْ أَنَّهُمْ أَضَاعُوا مَا سَعَوْا لَهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا مَا يُوَصِّلُ لِخَيْرِ الْآخِرِ وَلَا مَا يَضُرُّ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا نِدَاءٌ عَلَيْهِمْ بِسَفَهِ الرَّأْيِ وَالْخَرْقِ وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ فِيمَا تَقَدَّمَ يَجْرِي مَجْرَى

(١) أورده عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز ، ٣١٣ وعزاه لأبي تمام.
(٢) ينظر: مفتاح العلوم ، ٤١١.
(٣) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ ،٢١٣- ٢١٨.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦.

الْعِلَّةِ لِعَدَمِ رِبْحِ التِّجَارَةِ ، فَشُبِّهَ سُوءُ تَصَرُّفِهِمْ حَتَّى فِي كُفْرِهِمْ بِسُوءِ تَصَرُّفِ مَنْ يُرِيدُ الرِّبْحَ، فَيَقَعُ فِي الْخُسْرَانِ فَقَوْلُهُ: وَما كانُوا مُهْتَدِينَ تَمْثِيلِيَّةٌ وَيَصِحُّ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهَا كِنَايَةٌ عَنِ الْخُسْرَانِ ، وَإِضَاعَةِ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهْتَدِيًا أَضَاعَ الرِّبْحَ وَأَضَاعَ رَأْسَ الْمَالِ بِسُوءِ سُلُوكِهِ "[1].

ومن لطائف الكنايات التي يشير لها ابن عاشور ما ذكره عند تفسير الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُم كُفَّار فَلَن يُقبَلَ مِن أَحَدِهِم مِّلءُ ٱلأَرضِ ذَهَبا وَلَوِ ٱفتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2] ، "وَمَعْنَى فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ يَفْتَدُونَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ لِظُهُورِ أَنْ لَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ قَبُولِ الِافْتِدَاءِ فِي الدُّنْيَا ضَرُورَةً أَنَّهُمْ وُصِفُوا بِأَنَّهُمْ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، وَالْمِلْءُ- بِكَسْرِ الْمِيمِ- مَا يَمْلَأُ وِعَاءً، وَمِلْءُ الْأَرْضِ فِي كَلَامِهِمْ كِنَايَةٌ عَنِ الْكَثْرَةِ الْمُتَعَذِّرَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا يَمْلَؤُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُقَدَّرَةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ عَدَدُ رِمَالِ الدَّهْنَاءِ، وَعَدَدُ الْحَصَى، وَمُيِّزَ هَذَا الْمِقْدَارُ بِـ(ذَهَبًا) لِعِزَّةِ الذَّهَبِ وَتَنَافُسِ النَّاسِ فِي اقْتِنَائِهِ وَقَبُولِ حَاجَةِ مَنْ بَذَلَهُ "[3].

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُم أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُم وَلَا يُحِبُّونَكُم وَتُؤمِنُونَ بِالكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُم قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوا۟ عَضُّوا۟ عَلَيكُمُ ٱلأَنَامِلَ مِنَ ٱلغَيظِ قُل مُوتُوا۟ بِغَيظِكُم إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[4]، نراه يبيّن الكناية في عضّ الأنامل، فقال: " وَعَضُّ الْأَنَامِلِ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ وَالتَّحَسُّرِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَضَّ أَنَامِلَ مَحْسُوسًا، وَلَكِنْ كُنِّيَ بِهِ عَنْ لَازِمِهِ فِي الْمُتَعَارَفِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اضْطَرَبَ بَاطِنُهُ مِنَ الِانْفِعَالِ صَدَرَتْ عَنْهُ أَفْعَالٌ تُنَاسِبُ ذَلِكَ الْإِنْفِعَالَ، فَقَدْ تَكُونُ مُعِينَةً عَلَى دَفْعِ انْفِعَالِهِ كَقَتْلِ عَدُوِّهِ، وَفِي ضِدِّهِ تَقْبِيلُ مَنْ يُحِبُّهُ، وَقَدْ تَكُونُ قَاصِرَةً عَلَيْهِ يَشْفِي بِهَا بَعْضَ انْفِعَالِهِ، كَتَخَبُّطِ الصَّبِيِّ فِي الْأَرْضِ إِذَا غَضِبَ، وَضَرْبِ الرَّجُلِ نَفْسَهُ مِنَ الْغَضَبِ، وَعَضِّهِ أَصَابِعَهُ مِنَ الْغَيْظِ، وَقَرْعِهِ سِنَّهُ مِنَ النَّدَمِ، وَضَرْبِ الْكَفِّ بِالْكَفِّ مِنَ التَّحَسُّرِ، وَمِنْ ذَلِكَ التَّأَوُّهُ وَالصِّيَاحُ وَنَحْوُهَا، وَهِيَ ضُرُوبٌ مِنْ عَلَامَاتِ

(١) التحرير والتنوير ، ١/ ٣٠١.
(٢) آل عمران ، الآية : ٩١.
(٣) التحرير والتنوير ، ٣/ ٣٠٦.
(٤) آل عمران ، الآية : ١١٩.

الجَزَعِ، وَبَعْضُهَا جِبِلِّيٌّ كَالصِّيَاحِ، وَبَعْضُهَا عَادِيٌّ يُتَعَارَفُهُ النَّاسُ وَيَكْثُرُ بَيْنَهُمْ، فَيَصِيرُونَ يَفْعَلُونَهُ بِدُونِ تَأَمُّلٍ "[1].

كما أنّ الكناية قد تكون عن صفةٍ مستقبليّةٍ من باب تقريب الشيءِ إلى الذهن، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [2]: "وَالإِخْبَارُ عَنْ رُؤْيَتِهِمُ الْجَحِيمَ كِنَايَةٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا، فَإِنَّ الْوُقُوعَ فِي الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ رُؤْيَتَهُ فَيُكَنَّى بِالرُّؤْيَةِ عَنِ الْحُضُورِ كَقَوْلِ جَعْفَرِ بْنِ عُلْبَةَ الْحَارِثِيِّ:

لَا يَكْشِفُ الْغَمَّاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا.[3]

وَأُكِّدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ قَصْدًا لِتَحْقِيقِ الْوَعِيدِ بِمَعْنَاهُ الْكِنَائِيِّ "[4].

ومن هنا يتبيّن اهتمام ابن عاشور بالكناية بوصفها أحد أدوات الإعجاز القرآنيّ.

الخاتمة:

عبر هذا السرد المتواضع للمباحث البيانيّة في تفسير التحرير والتنوير يمكننا أن نوجز ذلك بالنقاط الآتية:

١- يمثّل تفسير التحرير والتنوير خزينًا معرفيًّا امتلأ بالمباحث البيانيّة ، التي عدّها الشيخ ابن عاشور بأنّها مرتكزات الإعجاز في القرآن الكريم.

٢- تمثّل صفة (البيان) التي وصف بها العقل العربيّ من أهم الصفات التي امتاز بها، كما أنّها من المفردات التي ليس لها مرادف في اللغات الأخرى، وقد يكون ذلك عائدًا للبيئة العربيّة في تباعد المنازل، فكان التشبيه والاستعارة والكناية من الأدوات التي تقرّب المنفصلات.

٣- تمثّل مباحث التشبيه والاستعارة والكناية بمعيّة المجاز الركن الأساس للمباحث البيانيّة، إذ تمثّل هذه المباحث الوجه الجليّ للإعجاز القرآنيّ، فبهذه الأركان يمتاز القرآن

(١) التحرير والتنوير ، ٤/ ٦٦.
(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٧.
(٣) البيت في شرح ديوان الحماسة للتبريزيّ ، ١٠.
(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٢٢.

الكريم عن باقي الأنساق التي امتازت بعلوّ كعبها على باقي التشبيهات والاستعارات والكنايات التي في سائر الكلام.

٤- من أهمّ ميزات التشبيه والاستعارة والكناية في القرآن الكريم ، أنّها ذكرت المحسوس والمعقول ليس في الحياة الدنيا، بل طالت تلك المباحث البيانيّة تشبيه المستقبل بما يتوفّر من مصاديق الحاضر، وخاصّةً تلك التي تتعلّق باليوم الآخر ومشاهد هذا اليوم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآل محمد الطيّبين الطاهرين بدءًا بأمير المؤمنين، وختامًا بخاتم الأولياء المعصومين صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه.

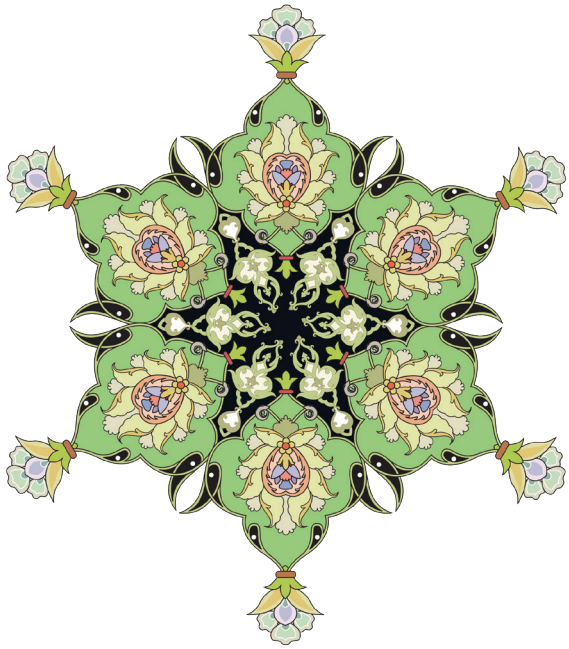

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة.

٤. البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب(المتوفى ٣٣٥هـ)، المحقق حفني محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٥. بنية العقل العربيّ، محمد عابد الجابريّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت- لبنان، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٩م.

٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٧. الجامع الصغير، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (المتوفى : ٩١١ه)، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٩٧م.

٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ، مؤسّسة هنداوي، مصر، ٢٠٠٧م.

٩. الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ.

١٠. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١١. شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبيّ، المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ– ١٩٥٣م.

١٢. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٣. علم البيان: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٢م.

١٤. فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م.

١٥. فنون البلاغة وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤م.

١٦. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

١٧. الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، محمود شاكر القطان، مطبعة الأهرام، مصر، ١٩٩٣م.

١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٩. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، المحقّق محمد حسن آل يس، عالم الكتب، بيروت.

٢٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلميّة، بيروت.

٢١. المطوّل في شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود الهروي التفتازانيّ (المتوفى: ٧٩٢هـ)، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، ١٣٣٠هـ.

٢٢. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٣. المنهاج الواضح في البلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهريّة للتراث.

٢٤. نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينيّة، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ.

٢٥. النكت في إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزليّ (المتوفى: ٣٨٤هـ)، المحقق محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

٢٦. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق نصر الله حاجي مفتي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ- ٢٠٠٤م.

٢٧. الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه